بن لحمر أسامة
فارِنة

اهداء

هذا العمل مقدم الى مجموعة مملكة البلاغة و الى الدكتورة
حنان محمود لاشين و الى كل الأصدقاء الذين شجعوني على
كتابة هذه القصة القصيرة أتمنى ان تنال اعجابكم

اقلب الصفحة يعيشك!

بدأت يومي برقصة على قطرات الحنفية التي تقع على صحن كان موضوعا بطريقة معينة ما ينتج عنها نوع من الإيقاع الذي يجعلك تحرك جسمك رغما عنك... اتصل بي رمزي صباحا

قائلا : أين انت يا أيها الحلزون ؟ منذ الساعة السابعة و النصف و أنا أنتظرك في المقهى.

- قلت : أنا قادم أيها الديك تقول رايح طفي النار .

ارتديت ملابسي التي غسلتها أمي ليلا و التي تفوح منها رائحة المنظف ، تلك الرائحة التي عندما تستنشقها يتخايل لك أنك قرعة سانيبون ، ارتديت سترتي الجميلة الرائعة ، ما جميلة ما والو ديجا جميلة تزوجت و جابت عشر ولاد تسعة دخلو للحبس و واحد حرق .

خرجت من المنزل قابلتني شرفة جارتي سعاد التي اذا رأتك صباحا توقع أن شيء ما سيحدث لك ، رأيتها تنشر الملابس ، رمقتني بابتسامة .

- قالت : صباح الخير أسامة

- قلت : صباح الخير سعاد يرحم والديك أحبسي في صباح الخير خاطر عندي طريق و حاب نروح نظيف و نرجع نظيف ، ثم أغلقت النافذة في وجهي فقلت في داجلي ايا سلامات.

وصلت الى المقهى وجدت رمزي جالسا في أحد الكراسي يتمتم مع نفسه و عيناه منعقدتان يوحيان بأنه غاضب .

- قلت : السلام عليكم صاحبي الزين.

- قال : سلوم و حيط مردوم روح أخطي جدي يرحم والديك .

- قلت : خير اطفل فطرت بالشب ولا .

- قال : عاجبك الحال كي من الصباح لي يجي يقولي روح تخدم؟

- قلت : يا ودي نورمال ياك تعرف العقلية في دزاير كل واحد حر في حياتك...

اشتريت كوبا من القهوة و خرجت مسرعا انا و رمزي متوجهين نحو موقف الحافلات ثم اصطدم بي شخص و سكب كوب القهوة على ملابسي خاصة و انني كنت أرتدي قميصا أبيضا و حذاءا أبيضا ، اطلقت العنان للساني

- قلت : ياخويا شوف قدامك بياضو عينيك ول ؟

- رد قائلا : سمحلي ماشفتكش

- قلت : كيفاه ماشفتنيش لازم نركبولك تيليسكوب في عينيك باه تولي تشوفني.

المهم كنت سأتشاجر معه لولا ان سحبني رمزي

- قال : صبحت على سعاد ؟

- قلت : ايه ، ياك هاديك نقطة سوداء في حياتي ، نروح نبدل و نجي .

انطلقت مسرعا نحو البيت وصلت الى الحي الذي اسكن فيه ، رأيت سعاد تنشر الملابس مجددا ، نظرت الي و تبسمت بسخرية

- قالت : أسامة القهوة يشربوها ماش يدوشو بيها.

- رفعت رأسي قائلا : و علاه لي يصبح عليك يربح ادخلي يدخل ظهرك .

صعدت الى المنزل و غيرت ملابسي و عدت الى رمزي ثم انطلقنا في الحافلة الى المنطقة الصناعية بالما ، وصلنا بعد ساعة و نصف ، كانت الطريق مغلقة بسبب أشخاص كانوا يتظاهرون من أجل السكن.

كانت الشركة التي كان من المقرر أن نعمل فيها تبعد عن موقف الحافلات بحوالي مئة متر ، انطلقنا نجري لأننا كنا متأخرين عن موعد المقابلة و بعد دقائق وصلنا ، فتح الحارس الباب

- قال : نعم تفضل كاشما تحتاج ؟

- قال رمزي : عيطولنا باش نخدمو .

- قال : لي يخدم يجي على ثمنية ماش على العشرة .

- قلت : ياخويا ساركيلاسيون بلعو الطريق و حنا واش دخلنا ؟

ثم قام بإغلاق الباب في وجوهنا استشاط رمزي غضبا و أخذ يدق الباب بقوة ، لكن الحارس لم يجب.

جلسنا على الرصيف

- قلت : ياخي رافد معاك سيرة ذاتية نروحو نشوفو من جهة خلاف .

انطلقنا نتمشى

- قلت : اصبر تشو.

عدت الى ذلك الحارس ففتح جزءا من الباب.

- قال : ياك قتلك لي يخدم يجي على الثمنية .

- قلت : حبيت نقلك الله يعطيك الساحق و اللاحق و الرصاص المتلاحق الله يعطيك البلا و معيشة في الخلا .

لم يترك لي المجال لكي ادعو عليه أكثر ثم أغلق الباب مجددا ، انطلقت أنا و رمزي في توزيع السير الذاتية الخاصة بنا في كل شركة نجدها أمامنا ، ثم أصابنا الإحباط و عدنا نحو موقف الحافلات ، في الطريق و نحن نمشي ، توقفت أمامنا سيارة سوداء من نوع مارسيدس كلاس جي ذات نوافذ سوداء معتمة نزل جزء من زجاج النافذة ، كانت فتاة تبدو في العقد الثاني من عمرها ، شقراء ذات شعر ذهبي لباسها كلاسيكي ترتدي نظارات سوداء تفوح من داخل السيارة رائحة عطر في لحظة يجعلك تغوص في ملامحها اعجابا .

- قالت : صباح الخير خويا ممكن سؤال ؟

- قلت : تفضلي

دفعني رمزي

- قال لها : تفضلي مودمزال .

دفعته مجددا

- قلت : اجبد روحك ياخي سقساتني انا .

- قالت : انا من ولاية البليدة و حابة نروح للخروب السائق تاعي مايعرفش الطريق ممكن توريولي منين ؟

- قلت : روحي ديراكت مادوري حتى لجهة .

قالت : اذا عادت طريقكم نوصلكم معايا .

- قال لها : حنا نسكنو تما ، و رايحين للخروب.

صعد رمزي أمام السائق و ركبت أنا امام الفتاة

انطلق السائق نحو مدينة الخروب ، كانت تلك الفتاة تنظر الي ثم قاطعت شرودي

- قالت : ماعليش نعرف إسمك؟

- قلت : أسامة و هذا رمزي الحابس.

رمقني رمزي بنظرة

- قال : ماكانش حابس قدك راحت الخدمة بسبتك.

قلت : ايه كي شغل كنا راح نخدمو في سونطراك.

قاطعت الفتاة شجارنا

- قالت : انا نبيلة .

- أجبتها قائلا : تستاهلي تولويلة .

- قالت : كنتو تحوسو على خدمة ؟

- قلت : ايه وصلنا روطار حاوزونا.

صمتت برهة

- قالت : تخدمو معايا ؟

اتسعت حدقتا عيناي و ادار رمزي نحوي و قلنا كلانا بصوت واحد : نخدمو ، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة

- قالت : خليلي رقم الهاتف تاعك العشية نتصل بيك ،

ثم سألتها قائلا : بصح واش هاد الخدمة ؟

- قالت : خدمة ساهلة توصلو الفرينة الطلبية الواحدة تخلصو عليها زوج ملاين للواحد.

وضعت يدي على جبهتي

- قلت لرمزي : قالت زوج ملاين و لا أنا لي نسمع الدوبل

-أجابها رمزي : نخدمو نخدمو ، ماتخافيش مودمزال ناويلة اه قصدي نبيلة ، انا و أسامة نطيرو من المقلة في التجارة ، نحكمو السيكتار ، سيدي مبروك جبل وحش الدقسي كذا منا ...

ضحكت ثم قالت : خدمتكم توصلو فقط ماتروحوش دورو با السلعة ، الطلبيات تكون واجدة نتوما توصلوها برك و تخلصو عليها.

- سألتها قائلا : باش نوصلوها ؟ رمزي عندو موطو كي نكون نمشي نسبقو.

- ابتسمت و قالت : العشية يجيبلك الشوفار السيارة لي تخدمو بيها ، و يجيبلكم التلفون لي تخدمو بيه و لازم لما الطلبية تكون واجدة توصلوها في وقتها .

- قلت : ماتتقلقيش نبيلة خوك شوماخر آخر مرة درت محاولة طيران .

- نطق رمزي : انا لي نسوق .

قلت : تسوق ظهرك ماعندكش البارمي ، ثم قلت لنبيلة : أهدري مع الرهج هذا راه مايعرفش يسوق .

كانت نبيلة تضحك فقط ، ثم وصلنا الى مدينة الخروب وجهناها نحو حي الوفاء التي ستمكث فيه طيلة فترة عملها ثم عدت انا ورمزي الى المنزل....

-حدثت رمزي قائلا : زوج ملاين في النهار سما في الشهر ستين مليون ، أول زوج ملاين نجيبها نخدم بها بارورداج للبالكو تاع سعاد ، نقفل جدو مابقاتش تشوفني مدى الحياة.

- قال رمزي : انا نشري فيها ايفون آخر صيحة ، وصلنا الى الحي ، وجدت سعاد قادمة في طريقنا.

- نطق رمزي : زوجتك المستقبلية.

رمقته بنظرة

- قلت : بلع و الله ماتحشم نتا.

- وصلت أمامي و قالت : واش؟

- قلت : واش جاية توشوشي عليا ضرك؟

- قالت : صحا ليك القهوة .

- قلت : سعاد نسقسيك ؟

- قالت : سقسي ؟

- قلت : ماكاش كيفاش زعمى ديزاكتيفيني في مخك ايامات قيس نطلع درجة و لا زوج برك .

- قالت : حتى تجي خالتي دليلة تخطبني ليك.

- قلت : سما مافيهاش ماعليش روحي نشالله تطلع روحي قبل ماتصرى هادي الحكاية....

في المساء ذهبت انا و رمزي الى المقهى جلسنا ننتظر الإتصال من نبيلة ، مرت ساعة ثم ساعة أخرى و لم نستقبل أي مكالة .

- نطق رمزي قائلا: عيط عيط للجماعة يجيو نريضو شوية دومين.

ما أن رفعت الهاتف بيدي حتى استقبلت مكالمة من رقم مجهول ،

- قلت : سعاد هاذي راح تخرجني من جلدي ، ألو صاي أطفلة ، أخطي جدي .

- تكلم قائلا : معاك الشوفار تاع مدام نبيلة.

- قلت : صباح الخير اه قصدي مساء الخير رانا واجدين يا خويا انا قلت نسيتونا رمزي ضارب رفعة شمة الروضة مادورش

- قال : اني قدام الحماية المدنية .

ذهبت انا و رمزي متحمسين ، وصلنا ، وجدنا سيارة من نوع كيا سبورتيج سوداء ، و ورائها سيارة المرسيدس التي كانت نبيلة راكبة فيها ، نزل شخص يرتدي بذلة سوداء و نظارات سوداء يضع في أذنه سماعة .

- قال : هذا المفتاح تاع السيارة لي تخدمو بيها.

ثم سحب من جيبه هاتف كلاسيكي .

- قلت : واش هذا تلفون و لا بياسة تاع صاروخ ؟

- قال : أرواح معايا .

فتح الباب الخلفي للسيارة ، رأيت كارتون بني مغلوق بإحكام ، مكتوب فيه "فرينة بنينة " ، ثم أغلق الباب.

- قال : في أي لحظة نعيطولك توصلها.

ثم ركب السيارة الأخرى و انطلق ، ركبت السيارة أنا و رمزي.

- قلت : نوصلو الفرينة بسبورتيج مالا لوكان جينا نوصلو الكوكاين ، تعطينا غواصة ديراكت.

توجهنا نحو حينا ، ركنت السيارة أمام المنزل ، كانت سعاد واقفة في الشرفة و تترقب نزول الشخص الذي يقود هذه السيارة الفاخرة ،

- قال رمزي : سعاد.

- قلت وينهي وينهي؟

- قال راهي طل من البالكو.

- قلت اه يا جدي نبات هنا ليوم و لا كيفاه ياو كون تشوفني نسوق في سبورتيج تزراق على جدي.

جلسنا قليلا في السيارة ريثما تدخل ، ثم توجهت نحو البيت و أنا أغني " الله الله ربي ما جاني نوم " ، وجدت أمي في المطبخ تعد العشاء.

- قلت : ما.

قالت : يعطيك غمة وين كنت يا المصيبة؟

سحبت من جيبي مفتاح السيارة

- قلت : ولدك فرجت عليه ، يما هاد العام نبعثك حجة ماش عمرة ، ثم أمسكت صحن زجاجي و قلت : يما شحال شريتي الصحن هذا ؟

-قالت : ثمانين ألف .

رميته في الأرض انكسر الى أجزاء ،

- قالت أمي : الله يكسر عظامك أولدي واشبيك هبلت؟

جاء أبي يجري من الغرفة الأخرى : واش كاين واشك كاين ، علاه تكسر في يمات الصحن.

- قلت : بابا أسامة راح يخرجكم من الميزيرية.....

في صباح اليوم الموالي إستقبلت مكالمة من عند نبيلة ، صباح الخير أسامة.

- أنا : صباح البونجوغ مودمزال نبيلة

- قالت : خف دوك عندك طلبية وصلها لعلي منجلي

استيقظت مسرعا و ارتديت ملابسي اتصلت برمزي و نزلت الى السيارة ، ما ان ضغطت زر فتح الأبواب حتى سمعت سعاد.

- قالت : مبروك مبروك ، ماخرجتش كامل عليك.

- قلت : اه يا جدي ، واش درت في حياتي انا حتى سلط علي ربي عيباد كيما هكا ، و راس ولادي لي مزالو مازادوش ماهي تاعي ،

- قالت : تاعمن مالا ، قلت : تاع واحد جارنا مسكين دار اكسيدون ولا اونديكابي راح نوصلو للسبيطار.

-قالت : مبروك عليك بركا بلاما تبعد في العين و تتعوج.

- قلت : ياخي علابالك وين نزرعها ماتنبت تقول ساقيها بلاسيد.

- قالت : مادام فيها سبورتايج سما عندك باه تجي تخطبني.

- قلت : نشالله بربي امشي تفتلي العيش و لا ارمي عينك في بلاصة خلاف ياو راس يما كاشما يصرالي ليوم يا سعاد ندخل فيك بدماغ نفاصيلك لاميموار .

- ضحكت و قالت بصوت خافت : نحبك يا مخبوط

- قلت : لا حول و لا قوة الا با الله.

وصل رمزي قلت له سما نتا ديرها زكارة باه نتلاقا با المنحوسة هادي ، هيا برك خلينا نروحو

انطلقنا متوجهين نحو مدينة علي منجلي بأقسى سرعة ، وصلنا بعد نصف ساعة الى الوحدة الجوارية 17 استقبلت مكالمة من نبيلة.

- قالت : تلقا بطيمة بيضاء و حمرة قدامها سيارة من نوع مرسيدس بيضاء .

- قلت : يا سيدي راكم كامل با المرسيدس شريتوها بروموسيو و لا وش؟

- قالت : أزرب أسامة الناس يستناو.

وصلت الى المكان المطلوب وجدت شخصا واقفا خارج السيارة ببدلة سوداء و يراقب المكان بحذر فركنت السيارة و نزلت انا و رمزي من السيارة.

- قلت : صاماعيكم.

لم يجبني ، ثم فتح الباب الآخر نزل رجل أربعيني ، بلحية خفيفة و قامة طويلة شديد الملامح يرتدي في يده ساعة ذهبية و يحمل في يده سيجار.

- قال و عليكم السلام ، وين راهي الفرينة؟

ذهب رمزي و حمل العلبة و أحضرها ناحيتي

- قلت : مالا فيها خبز الدار على حساب الشوفة؟

رمقني بنظرة

- قال : مايخصكش.

- قلت : واش بيك تزير في وجهك فطرت بالخرشف ول ؟

أدار الرجل الذي يقفه امامه و قال : سيدي نوكلو البلوط؟

أشار سيده قائلا : ريح.

- قلت : كثر خيرك يا خويا غير كيما فطرت بكاس حليب و حبيبات سفنج .

ثم حمل الطلبية انطلق....

عدت انا و رمزي نطير فرحا بأول طلبية و أول مليونين نحوز عليها متجهان نحو المنزل فوجدنا حاجز الشرطة في الطريق الذي يربط مدينة الخروب - علي منجلي ، ما إن وصلنا حتى أشار الشرطي بيده الى سيارتنا لكي نتوقف ، ركنت السيارة على حافة الطريق ، جاء الشرطي يتقدمنا و يحملق فينا بنظرة شك ، أدرت ناحية رمزي

- قلت : ماش موالفين يديرو باراج هنا

- قال رمزي : حتى انا راني حاير

انزلت زجاج النافذة و وقف أمامنا الشرطي

- قال : وثائق السيارة من فضلك.

سحبت الوثائق و قدمتها له ، أخذ يراقب كل الأوراق ، ثم وصل الى رخصة السياقة الخاصة بي

- نظر الي ثم قال : تاعمن السيارة هادي ؟

- قلت : تاع الخدمة.

- تبسم و قال لرمزي : هات بطاقة الهوية تاعك نتا

قدم له رمزي بطاقة الهوية ، بعد لحظات جاءت سيارة أخرى للشرطة أغلقت الطريق على سيارتنا

- قال الشرطي : أنزلو

- فسألته : الشاف واش كاين ياخي غير الخير ؟

- قال : من بعد تعرف.

ثم جاء شرطي آخر يحمل في يديه أصفاد حديدية

- قال هات يديك.

- قلت : واش كاين علاه تمينوطيني ؟

- قال : من بعد تعرف.

صعدنا في مؤخرة سيارة الشرطة و انطلقوا بنا نحو مخفر الشرطة المتواجد بمدينة الخروب ، وصلنا بعد حوالي عشرة دقائق ، نزلنا ثم أخذونا نحو مكتب قائد الشرطة ، أدخلونا ثم جلسنا ، أخذ ينظر الينا بحدة ثم سأل رمزي : كي سموك ؟

- قال رمزي : حليمة.

ثم سأله مجددا بصوت مرتفع : كي سموك؟

-قال رمزي : هاني قتلك حليمة

- قلت : قالك كيفاش اسمك يا حمار؟

- صرخ في وجهي قائلا : ونتا كيفاش اسمك؟

- قلت : أسامة.

وقف من الكرسي تقدم ورائنا و ادخل رأسه بين كتفي و كتف رمزي

قال بصوت منخفض : علابالكم واش عقوبة بيع الكوكاين ؟

ادرت رأسي نحوه و قلت : واشمن كوكاين؟

ضرب يده بقوة في المكتب

- قال : ماطيحش بهلول ، الكوكاين لي بعتوه للسيد تاع قبيل منين جبتوه .

- قلت : نبيعو الفرينة حنا واش دانا للكوكايين.

ضحك و قال : فرينة ؟ مع من كنتو تخدمو الفرينة ؟

- قلت مع مودمزال نبيلة.

تبسم و جلس في مكتبه و قال : مع مودمزال ساندرا ماش نبيلة.

بعد لحظات دخل شرطي و قال : شاف جاو والديهم حابين يهدرو معاك ، دخلت والدتي و والدة رمزي و معهم سعاد ، نظرت الي والدتي

- قالت : أسامة هكذا ربيتك ؟

- قلت : يايما ماعلابالیش واش كاين.

نظرت الى سعاد ، كانت عيناها تذرف شلالات من الدموع و تنظر الي بحزن.

- قلت : سعاد قوليلها بلي خاطيني الحوايج هادو درت ناحية الشرطي و قلت : و الله غير خاطينا ، في بالنا خدمة عادية انا جاجة مانكتفهاش نبيع الكوكايين.

كانت أم رمزي تبكي و تقول : ياولدي علاه ماتخذش الراي علاه ، ثم أمر الشرطي بأخذنا الى السجن....

صعدنا في سيارة الشرطة مكبلي الأيدي و أمي و سعاد و والدة رمزي يذرفون الدموع ، في الحقيقة لم أعتقد أبدا انني في يوم من الأيام سأجرب لحظات مثل هذه ، الناس ينظرون الينا ، بعضهم لا بل كلهم يعتقدون بأننا مجرمين ، بالفعل نحن مجرمين ، لكننا نعلم بأنه ربما فخ أو جشع أعمى عينينا ...

انطلقت السيارة نحو سجن " الكدية " الذي يقع في وسط مدينة قسنطينة ، وصلنا بعد فترة ليست بالطويلة ، انزلونا من السيارة و أدخلونا في الباب الأول ثم الباب الثاني ، ثم الباب الثالث ، بعد اجتيازنا الباب الأخير نزلت في قلبي تلك الظلمة التي تحسسك بأنك بالفعل في السجن ، قدموا لنا تلك الملابس البرتقالية

قدمو لنا أيضا الأغطية لكل واحد منا ثم اقتادونا نحو زنزانتنا ، بعد دخولنا للزنزانة نزل على مسمعي صوت إغلاق الباب ، سقطت على ركبتي غريقا في دموعي ، أحسست بنعمة الحرية التي كنت أعيشها ، كانت الزنزانة تحتوي على أربعة أسرة كل سريرين موضوعين في زاوية من تلك الغرفة ، كان يشاركنا في تلك الزنزانة شابين أخرين ، لكننا لم نتعرف عليهم بعد ، غيرت ملابسي و وضعت أغطيتي في مكان نومي و جلست أنا و رمزي نحملق في سقف و حيطان الزنزانة ، لحد الساعة لازلت أحمل في عقلي تلك الجملة " لا تقلق أنت تحلم فقط و سوف تستيقظ"

رمزي كان متكآ على الحائط و شارد الذهن قاطع غفلتنا و شرودنا أحد المساجين

-قال : توالفو خوتي توالفو

- قلت : ياودي شكون يقدر يحمل الحبس؟

نزل من سريره و قال : علاه جابوكم هنا ؟

-قلت : ياودي حكاية طويلة.

ثم جاء و جلس أمامي و صافحني و قال : شعيب معاك و هذا عادل.

صافحته و قلت : أنا أسامة و هذا صاحبي رمزي و بدأت أروي له من البداية الى النهاية

- قال يفرجها ربي صاحبي ربما فيها أمل و تخرجو.

مرت الأيام الأولى في السجن ثقيلة لحد تشكل تلك الهالات السوداء تحت اعيننا ، تعرفنا على بعض المساجين ، بعضهم من ارتكب خطئا ، و بعضهم من سجن ظلما، منهم الطبيب و منهم الشرطي و منهم العسكري و منهم المدير و منهم التاجر و المحامي و القاضي و منهم و منهم ...

كانو مسجونين معنا ، كنا نلتقي صباحا عندما تفتح زنازننا نجلس مجتمعين في أحد الكراسي الموجودة في ساحة السجن ، و كل واحد فينا يروي قصته .

في الحقيقة تلقينا معاملة حسنة من عمال السجن ، كانو دائما ما يحفزوننا على الصبر و انها مدة زمنية و ستنتهي لا محالة ، بينما انا و رمزي كنا نفكر في محاكمتنا التي ستكون بعد يومين ، كنا نفكر في المدة التي سنقضيها في هذا السجن ، أكيد أقل مدة سنقضيها هي خمسة سنوات.

- قال لي رمزي : راح المستقبل صاحبي ، راح الكازي ، راح كلشي.

- قلت : الصبر صاحبي حتى النبي يوسف دخل السجن

- قال : بصح مام نخرجو شكون لي راح يخدم واحد دخل للحبس

- قلت : الرزق على ربي مابيد حتى واحد ....

بعد يومين ، جاء الأمر من المحكمة للوقوف أمام القاضي.....

انطلقت بنا سيارة الشرطة نحو المحكمة الإبتدائية بمدينة الخروب ، كنت أنا و رمزي تائهين طوال الطريق مع الطبيعة و المباني و كأننا لأول مرة نراها لم نتكلم أبدا بل اكتفيا فقط بأخذ جرعة من الحرية ، حتى و لو كنا مكبلين و محاصرين في مقطورة السيارة الا ان هذا لم يمنعنا من رؤية الحرية التي اشتقنا لها عند دخولنا للسجن ، قاطع شرودنا صوت سيارة الشرطة و هي تحاول الدخول بين السيارات اثناء الازدحام تمنيت لو طال الأمر و بقينا و لو دقائق إضافية نشاهد عالمنا الجميل ، وصلنا الى وسط المدينة ثم توقف السائق أمام باب المحكمة ، كان والدي و والد رمزي و أصدقائنا و أقربائنا ينتظرون وصولنا ، جاءت والدتي و والدة رمزي و معهما سعاد يذرفون الدموع أمام زجاج السيارة ثم وضعت سعاد يدها على الزجاج ، و أخذت تبكي بشدة و تتحدث لكنني لم استطع سماع أي كلمة منها لأن الزجاج

كان يحجب الصوت ، دخلت السيارة الى الداخل ، انزلونا ثم اقتادونا الى غرفة المحاكمة ثم الى تلك الزاوية الضيقة التي تحمل المتهمين ، كان المحامي جالسا في مكتبه يرتب أوراقه استعدادا للمحاكمة ، عائلتي و أقاربي و كل الناس الذين يعرفون أسامة و رمزي كانوا جالسين على الكراسي ، دخل القاضي ، أو لنقل سالب الحرية ، جلس يراقب الحضور و يراقب المتهمين ، رفع مطرقته و ضرب بها الطاولة و قال : محكمة .

وقف المحامي و بدأ يسرد له وقائع الجريمة و القاضي ينصت بتركيز شديد ، ثم أمر الشرطي بإحضاري.

وقفت أمامه و قال : بني الكازي تاعك نظيف ، قلي علاش خدمت مع هادي ساندرا ماراكش جايب خبر بلي راهي مجرمة من الطراز الأول و مبحوث عليها في كل الولايات ؟

- قلت : سيدي انا شاب زوالي ، خرجت نبحث على عمل ، ماكنتش جايب خبر حتى لقيت روحي عندكم ، ومستعد ناخذ العقوبة على غفلتي لي داتني للهاوية .

قال : بصح القانون لا يحمي المغفلين.

- قلت : سيدي أعلم بأنني مغفل ، لكني لم أحجز أي كمية من هذه المادة و خير دليل الشرطة لما حكمونا لقاو عندنا الا السيارة

أمرني لأعود مكاني ، و أمر رمزي بالتقدم ، بدأ يسأل رمزي و هو يجيب ، بدت له حيثيات القضية ، هو أننا ضحايا نصب و احتيال ، انتهت المحاكمة و لم يفصح القاضي عن الحكم...

اقتادونا مجددا نحوس السجن اما بالنسبة للحكم ، قال لنا المحامي سيصلنا الخبر الى السجن الذي نقبع فيه...

بعد عودتنا للسجن بقينا انا و رمزي ننتظر صدور الحكم ، فقدنا آخر جرعة أمل و بدأنا نفكر في كيف سنجتاز كل الفترة التي سنقضيها هنا ، كان تفكيري هو أنني سوف أقرأ الكثير من الكتب و الروايات ، بل أنني قررت أن أحفظ القرآن الكريم كاملا حتى رمزي هذا ما أراد القيام به في هذه الفترة ، بعد يومين من الإنتظار ، كنا أنا و رمزي جالسين في ساحة السجن مع أصدقائنا الذين تعرفنا عليهم نفضفض كالعادة ، جاء أحد الضباط و نادا بإسمينا : بن لحمر أسامة ، موالكية رمزي ، ذهبنا اليه و سحب ورقة من جيبه و قال : الحكم تاعكم

أمسكت الورقة بيد مرتعشة ، جبيني بدأ يتصبب عرقا ، رمزي نزل على ركبتيه و وضع رأسه على الأرض ينتظر مني ما سأقوله ، أصدقائنا المساجين مشكلين حلقة حولي ينتظرون معرفة عقوبتنا ، توقف قلبي عن النبض للحظات ، في الحقيقة أصعب موقف مررت به في حياتي لكم أن تتخيلوا مدى صعوبة الأمر و ما تحمله تلك الورقة هو إما سيكون صادما أو يكون مفرحا ، بل هو مصير حياتنا و مستقبلنا في هذا العالم الكبير.

نظرت اليهم قلت : خوتي راح نفتحها في وجوهكم و أنتم لي تقولولي واش كاين.

أخذو يحفزونني و يقولون كوراج خويا كوراج قل مايصيبنا الا ماكتب الله لنا ، ثم فتحت تلك الورقة بسرعة تقدموا كلهم ، أخذو يحملقون في حروفها و أنا قلبي كاد يتوقف من شدة الخوف ثم ابتهجت وجوههم و صاحوا كلهم بصوت واحد : شهرين سجن نافذة ، سقطت على ركبتي و الدموع تنهمر بدون إذن وقف رمزي و قفز نحوي و عانقني و انفجر باكيا حتى هو ، إختفى عقلي في تلك اللحظة ، أحسست أنني عدت للحياة مجددا ، ثم نزلت الى الأرض ساجدا و شاكرا لله ، وقفت مجددا و استعدت أنفاسي

راح كل من في السجن يقدمون لنا التهاني و كأننا إخترعنا شيئا ما أو ربحنا شيئا ما لا بل هم على حق هل للحرية ثمن.....

انقضت تلك الفترة بصعوبة شديدة لا أدري ربما كان تعطشنا للحرية هو من جعلها تبدو طويلة ، لكن هذا لم يمنعنا من التماسك و الصبر ، قضينا تلك الفترة نحفظ القرآن الكريم و قرأنا بعض الكتب التي أحضرها لنا صديقنا ياسر.

في يوم السبت على العاشرة صباحا ، فتحت زنزانتا ، نهضنا انا و رمزي نستعد للخروج الى ساحى السجن ، دخل ضابط الشرطة

و قال : بن لحمر أسامة ،موالكيبة رمزي، ارفدو قشكم ليوم تخرجو ، من دون ان اشعر نسيت ان اغير ملابسي كنت خارجا بملابس السجن انفجر صديقانا ضحكا من ما فعلته ، خرجنا مع الضابط متوجهين الى الغرفة التي فيها أشيائنا غيرنا ملابسنا و استعدنا أشيائنا و هواتفنا و خرجنا من الأبواب الثلاثة حتى وجدنا أنفسنا خارج السجن ، أخذت أحملق في كل شيء يمر حولي و كأنني كنت في فجوة زمنية ، فتحت هاتفي تلقيت رسالة من سعاد تقول فيها " راح نستناك و لو مئة سنة مانيش راح نقدر نتقبل أي واحد في حياتي من غيرك "

تبسمت و لأول مرة أحس بشعور جميل تجاه سعاد لا أدري ربما حب أو إعجاب ، انطلقت انا و رمزي نحو موقف الحافلات ، لنعود لدفء منازلنا و دفء عائلاتنا....

وصلنا الى مدينة الخروب ثم الى حينا ، نظر الي رمزي و قال : سبحان الله شغل كنا في حلم ، ايا انا نمشي للدار من بعد نتلاقاو

وقفت أنتظر خروج سعاد الى الشرفة ، ماهي الا لحظات حتى فتحت النافذة ، لمحتني و بقيت مندهشة ،

وضعت يدها على فمها و اتسعت عيناها ، ثم دخلت للبيت تغني أغنية حسيبة عمروش "يا فرحي و سعدي ولا الحبيب ديالي"

وضعت حقيبتي و بقيت انصت الى مجنونتي و هي تحدث والدتها بصوت عالي : يما خرج خرج أسامة شفتو شفتو و الله غير هو ، ثم سمعت دقات اقدماها و هي نازلة من الدرج بسرعة البرق ، جاءت تتقدمني تجري ، ثم وقفت أمامي تلهث.

- قالت : أه أسامة كيفا؟.. كيفاه؟ ، وينتا ؟ و علاه ماقالوليش ؟

بقيت أحدق في هذه المجنونة التي أصابني العمى عن عينيها الجميلتين طيلة هذه الفترة ذبت في ملامحها إعجابا بل حبا

- قلت : سعاد هاني جيت

- قالت بنبرة حزينة مام انا كنت في الحبس ظلامت عليا الدنيا بفراقك موالف تزغد قدامي و تتمخبط ، مين رحت حسيت روحي وحدانية.

- قلت مازحا : هاني رجعت ، أخبطيني بعويناتك البنيتين الحلوتين.

صمتت خجلا و قالت : توحشتك.

قلت : مام انا ماكاش حاجة أثرت عليا قد فراقك.

عقدت يديها و حملقت بوجهي بتلك النظرة الجميلة

- قالت : بصح نتا ماتحبنيش.

انفجرت ضاحكا على ملامحها البريئة ، بدت لي و كأنها طفلة صغيرة.

- قلت : نبحك ، بوه نح.. نح ..

- قالت : أهدر يا الرهج قولها و دفعتني بيدها و بابتسامة خجولة قول برك ماتخليهاش في قلبك .

- قلت : نحبك يا طبوزي، ثم عدتي لوعيي ، و قلت : الخيمار ماكانش ، لابسة بيجامة ، الناس يتفرجو.

-قلت بصوت خافت سعاد الدار.

- قالت : نو .

- قلت : الدار سعاد ، ياه وين راهو الخيمار؟

بقيت تعقد يديها و تحرك شفتيها الصغيرتين ، مانروحش

صحت في وجهها : أطلعي ازربي الناس يتفرجو ياخاه التبهديل.

- قالت بوجه فتاة صغيرة نتا ديما هكا هاني رحت.

انطلقت مجنونتي تجري و تغني في الدرج أحسست بالفعل أنني كنت بمثابة مصباح ينير قلبها ، ضربت جبهتي و حدثت نفسي قائلا : مستحيل نعيش بلا بيك يا طبوزتي ، ثم عدت الى البيت احتضنت والدتي و والدي لاحظ والداي تغير تصرفاتي و نضجي ، حدثت والدتي بأمر سعاد ، ثم أخبرتني أمي بأن سعاد من الحت على والدتها لكي تخبر خالها المحامي لكي يتبنى قضيتي ، من دون أن أشعر قلت لأمي بأنني أحبها و يجب أن اتزوجها

في صباح اليوم الموالي اتصلت بمجنونتي قلت لها : أريد منك أن تكوني أميرة بيتي و سجينة قلبي.

- قالت : كيف ؟ لم أفهم كيف أكون أميرتك و مستقبلنا سيكون في بيت صغير؟

- قلت : الا تريدين أن تتخذي من بيتنا الصغير قصرا يليق بمقامك يا أميرتي؟

- قالت : لكن إسمي سعاد و لست أميرة .

- قلت : مصران ان شاء الله يخرجلي في جنبي ، ان شاء الله نبلع شجرة تاع شوك؟

- قالت : مابك تاكل في روحك؟

- قلت : والو... احم سعاد المهم مبعدا يجي الوالد و الوالدة يتكلمو عليك.

ابتهجت أساريرها و قالت بحنجرتها الرقيقة قلي راك تتمسخر خاطر رايحة نطيح .

- قلت : ماطيحي ماوالو و بركي ما تضغطي على التلفون , خلي جدو باه تصوري بيه الخطبة تاعنا.

– تمت –

للمزيد تابعوني على صفحتي الرسمية :

Benlahmar oussama بن لحمر أسامة | Facebook

لزيارة حسابي الخاص :

Benlahmar Oussama | Facebook